تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

موقفنا من الاتحاد السوفيتى

فى الحرب العالمية الأخيرة ، جاء يوم وقفت فيه بريطانيا وحيدة بلا حليف ، وحيدة بلا صديق ، وحيدة بلا قوة . . حليفتها فرنسا — تلك التى تستأسد اليوم فى مراكش — كانت فى ذلك الوقت قد ركعت على قدميها أمام جحافل الألمان . أما الفترة التى استغرقتها الدولة «العظيمة» لتركع ، فكانت طويلة جدا فى حساب الزمن وحساب التاريخ . . كانت سبعة عشر يوما كما « يزعم » المؤرخون ! وصديقتها أميركا — تلك التى تناصر الحرية اليوم فى كوريا — كانت فى ذلك الوقت قد التزمت خطة الحياد المزيف ، عملا بموقفها «الخالد» من حرية الشعوب ! والقوة التى كانت تعتز بها بريطانيا وتفخر ، تلك التى كم أخمدت أصوات الكرام وأخضعت رءوس السادة ، كانت هى الأخرى قد تبعثرت أشلاؤها تحت مخالب النسر الألمانى فى كل مكان ! !

فى ذلك اليوم الذى خسرت فيه بريطانيا كل حليف وفقدت كل صديق ، وسلبت كل قوة . . راح ونستون تشرشل — كلب الإمبراطورية العجوز — راح يتطلع فى حيرة اليائس إلى كل أفق يمكن أن تشع منه ومضة أمل تغذى فى نفسه مسارب الرجاء . . ولم يطل يأسه ولم تطل حيرته ، فقد أقبلت الفرصة المنتظرة التى أتاحت للكلب أن يسترد أنفاسه اللاهثة ، وأن يلعق جراحه النازفة ، وأن يرفع رأسه من الأرض ليثبت من جديد أنه قادر على النباح ! !

أقبلت الفرصة المنتظرة حين أقدمت روسيا على خوض غمار الحرب . . وانتهزها الكلب العجوز لا ليعترف بالجميل ولا ليذكر الفضل ، بل ليطالع العالم بوجهه الصفيق ويقول : فى سبيل القضاء على العدو المشترك ، أرى لزاما على أن أضع يدى فى يد الشيطان . . لقد كان الشيطان الذى يعنيه هو روسيا السوفيتية ، وبفضل هذا الشيطان وحده استطاع أن يتجنب الهزيمة ، وأن يقود أمة اللصوص نحو النصر ! !

أليس موقفنا اليوم شبيها بموقف بريطانيا بالأمس ؟ إنه يشبهه من كل الوجوه . . إننا نقف وحدنا بلا حليف ، وحدنا بلا صديق ، وحدنا بلا قوة ، اللهم إلا قوة الإيمان بحقنا فى الحياة ! إننا — نحن أبناء الشمال والجنوب — قد قدر لنا أن نواجه العدو المشترك ، وفى سبيل القضاء عليه ، لماذا لا نضع أيدينا فى يد الشيطان ؟ الحقيقة المرة هى أننا لا نزال نتحرج ، ولا نزال نتردد ، وأننا لا نثق كثيرا بمنطق التاريخ . . التاريخ الذى ينحنى لنا فى أسف ، ويقول لنا فى صدق ، وعلى شفتيه ابتسامة رثاء : مساكين . . إن « شيطنة » روسيا ما هى إلا أسطورة ضخمة من صنع المخيلة البريطانية . . أسطورة صدقتموها لأنكم أمة تعيش على الأساطير ! !

لو كنا نثق بمنطق التاريخ لما خدعنا منطق اللصوص . . لما تحرجنا من مصافحة الشيطان وقد صافحوه ، لما ترددنا فى محالفة الشيطان وقد حالفوه ، لما وقفنا وحدنا نتطلع إلى الصديق ولا صديق ! إن هذا الشيطان إذا لم تخنى الذاكرة ، قد ناصرنا مرة حين لجأ الفرنسيون إلى مجلس الأمن ، وناصرنا مرة أخرى حين لجأ صلاح الدين إلى هيئة الأمم ، وناصرنا مرة ثالثة حين لجأت الوفود العربية إلى تلك الهيئة لتعرض عليها قضية مراكش ! ومع هذا كله فنحن لا نزال متحرجين ومترددين : نعرض عن المودة الروسية والصداقة الروسية ، لأنهما فى رأى عشاق الأساطير من رجس الشياطين ! !

يا حضرات القادة ، يا حضرات الزعماء ، يا من بيدكم مقاليد الأمور فى هذا البلد : فكروا مرة ، مرة واحدة فى محالفة الشيطان ! أقسم لكم أن الشيطان لم يحتل بلادنا ، ولم يسرق أقواتنا ، ولم يسفك دماءنا ، ولم يهدم بيوتنا ، وإنما الذى احتل وسرق وسفك وهدم . . هم « الملائكة » ! !

الشعر المرسل أو الشعر المنثور

شاع فى هذه الآونة لون جديد من ألوان الأدب ، أخذت

تقدمه لنا الصحف والمجلات الأدبية باسم « الشعر المنثور » تارة وباسم « الشعر المرسل » تارة أخرى !

واست أدرى والله ما معنى هذين التعبيرين ، وماهو المقصود بهما ! وأية متعة فنية أو أدبية يجنيها الإنسان من قراءة كلمات متناثرة هنا وهناك ، تفصل بينها النقاط الكثيرة ، وعلامات التعجب والاستفهام ، دون أن يربط بينهما رابط من اللفظ والمعنى فما هي إلا أفكار مشوشة مضطربة ، وخواطر غريبة متنافرة لا تجمع بينها وحدة الفكر ، ولا وحدة القافية !

أنا لا أستطيع أن أفهم أن هناك «شعرا منثورا» بل الذى أفهمه أن هناك شعرا له أصوله وقواعده وقيوده ، وأن هناك نثرا له مقاييسه الخاصة به ، وله صفاته التى تميزه عن الشعر . . فما هذا الخلط ؟ وما هذه الفوضى الأدبية ؟

لقد غفرنا لأولئك الأدباء الذين ينقلون إلى العربية روائع الأدب العالمى تحررهم من تلك القيود التى يخضع لها الشعر العربى، بغية المحافظة على روحية الشاعر ووحدة فكرته التى يهدف إلى عرضها للقارئ بأسلوب فنى ووفق نظام بديع . ولكن ما الذى يدعونا إلى التماس المغفرة لهؤلاء الأدباء أو «المتأدبين» الذين جاءوا بهذه «البدعة» الأدبية الجديدة ، التى إن دلت على شئ فإنما تدل على عجز عن الإبداع الفنى ، وقصور عن إدراك ذروة الجمال فى التعبير الشعرى الذى يجب أن يخضع للأسلوب الفنى المنظم !

أرجو من الأستاذ الناقد إفادتى برأيه فى هذا الموضوع مع بيان تأثير هذه البدعة على الشعر العربى الحديث

«بغداد» نصير آل ياسين

أنا مع الأديب العراق الفاضل فى هذه الآراء التى يبديها حول الشعر المرسل أو الشعر المنثور ، ذلك لأننى لست من أنصار «الشعوذة» الفكرية و « البدع » الأدبية التى يسميها الفاشلون فنا والفن منها براء . . ولو رجع الأديب العراق إلى كتاب « نماذج فنية » لوجدنى أؤيده كل التأييد فيما ذهب إليه ، حين ينعت التحرر من بعض القيود فى الفن بأنه « الفوضى » الناتجة عن عوامل العجز والقصور ! هذا حق لاشك فيه ، وأية متعة فنية أو أدبية يجنيها الإنسان كما يقول ، من قراءة كلمات متناثرة هنا وهناك ، تفصل بينها النقاط الكثيرة وعلامات التعجب والاستفهام ، دون أن يربط بينها رابط من اللفظ والمعنى ؟

إنه سؤال يوجهه إلى الأديب العراقي ، وأعود إلى بعض ما قلته بالأمس حول مشكلة القيود فى الفن لأقدم إليه هذا الجواب : « إن تحرير الفن من كل قيد معناه الحرية المطلقة وإن الحرية المطلقة ليست هى الجمال الذى نتطلع إليه .. إننا حين نفرض القيود على الفن فإنما نفرضها بغية أن نبث فيه روح النظام وما هو الجمال فى الفن إذا لم يكن هو الجمال على التحقيق ؟ وحين نرفض الحرية المطلقة فإنما نرفضها خشية أن نبث فيه روح الفوضى، وما هو القبح فى الفن إذا لم يكن هو الفوضى بلاجدال ؟ لابد إذن من قواعد وأصول حين نحتاج فى « تنظيم » الفن إلى تلك القواعد والأصول ، ولابد إذن من القيود التى تقررها المقاييس النقدية لتحديد القيم الجمالية ! . . إن الفن فى كل صورة من صوره يجب أن يعتمد أول ما يعتمد على تلك الملكة التى نسميها « ملكة التنظيم » ، وكل فن يخلو من عمل هذه الملكة التى تربط بين الظواهر ، وتوفق بين الخواطر ، وتنسق المشاهد ذلك التنسيق الذى يضع كل شئ فى مكانه ، كل فن يخلو من عمل هذه الملكة لا يعد فنا ، بل هو «فوضى فكرية» أساسها وجدان مضطرب ، وذهن مهوش ، ومقاييس معقدة أو مزلزلة .. إننا ننشد النظام ، وإذا ما أوجدنا النظام فقد خلقنا الجمال ، وإذا ما خلقنا الجمال فقد أقمنا بناء الفن !

هذه الكلمات الموجزة يستطيع الأديب العراق أن يخرج منها بما يؤيد وجهة نظره حين يقول « إن الشعر المنثور ما هو إلا أفكار مشوشة مضطربة ، وخواطر غريبة متنافرة ، لا تجمع بينها وحدة الفكر ولا وحدة القافية .. أنا لا أستطيع أن أفهم أن هناك شعرا منثورا ، بل إن الذى أفهمه أن هناك شعرا له أصوله وقواعده وقيوده ، وأن هناك نثرا له مقاييسه الخاصة به، وله صفاته التى تميزه عن الشعر ، فما هذا الخلط ، وما هذه الفوضى الأدبية » ؟

هذا رأى جميل ، وإنه ليذكرنى بذلك الرأى الذى عقبت

به يوما على سؤال لأحد الأدباء العراقيين ، حين تعرض لقيود القافية فى فن الشعر ذاهبا إلى أنها تحد من حرية الشاعر ، لأنها كثيرا ما تسوقه مرغما إلى كلام لم يقصد إليه ولم يهدف إلى معناه . . لقد قلت يومئذ وأنا فى معرض الجواب حيث يغنى الإيجاز عن كل إطناب : « بق أن أقول للمحامى الأديب فى مجال الرد على ما أورده حول قيود القافية فى فن الشعر ، إن هذه القيود كما عرض لها حق لا شك فيه ؛ من ناحية أنها تفرض على الشاعر لونا من التعبير قد لا يرتضيه . ولكن الأستاذ قد نسى أن تلك القيود لازمة من لوازم الشعر ليكون شعرا ، له ذلك القالب الفنى الذى يميزه عن قالب النثر ، ويشير إلى ما بين القالبين من فروق » !

بعد هذا أنتقل إلى السؤال الأخير فى هذه الرسالة المتزنة الواعية لأقول : لاخطر فى رأيى من هذه البدعة على الشعر العربى الحديث ، لأن أصحابها لا وزن لهم عند من يفهمون رسالة الفن على وجهها الصحيح ، ويحددون لها الغاية ويرسمون الطريق ويقررون المصير . . لاوزن لهم مهما شجعتهم على مثل هذه « الشعوذة » صحف تزعم أنها تحمل مشعل التجديد ، وهى فى الواقع تظلم التجديد كل الظلم حين تنظر إليه فى ضوء هذا الفهم السقيم !!

حول مسرحية « دنشواى الحمراء » :

أريد أن أعرض عليك مشكلة لست أدرى ماذا يكون صداها لديك ، ولدى القائمين بشئون المسرح العربى ! . . كنت ضمن النظارة الذين شاهدوا المسرحية الوطنية الكبرى « دنشواى الحمراء » ، فلاحظت أن الستار يسدل عقب انتهاء كل منظر من مناظر المسرحية العديدة والأنفاس معلقة . . ثم لا يلبث أن يرفع مرة أخرى فإذا بالممثلين قد أحنوا قاماتهم لجمهور النظارة الذى ألهب أكفه بالتصفيق إعجابا بفنهم الرفيع

هذا أمر طبيعى ، لأن الممثل يجد لنفسه صدى يتمثل عنده فى تصفيق الجمهور وإعجابه ومشاركته له مشاركة تامة فى كل ما يحس من عواطف وانفعالات . . ولكن هنا المشكلة ! إن أفكار النظارة الفردية تتحطم فى المسرح وتستحيل إلى أفكار جماعية ، فالانفعالات والإحساسات تسرى فى الجميع ويصير « الكل فى واحد » كما يقول « نشيد الموتى » . . ولكن رفع الستار مرة أخرى بعد إسداله عقب انتهاء كل منظر ، يؤدى إلى « اللانفعالية » الفاجئة لدى النظارة ، مما يحول بينهم وبين التعاطف والاندماج فى اللحظة التى أوشك أن يتم فيها التعاطف والاندماج ، فإذا بالجمهور لم ينظر إلى ماعرض على خشبة المسرح نظرة الجد بل أخذ يضحك بشكل أزعجنى ! إن الجمهور فى ذلك معذور يا سيدى ، لأن رفع الستار قد قضى على طاقته العاطفية أثناء التمثيل وأحالها فجأة إلى حالة طفيلية ذات وجود مستقل ، وبهذا يفقد المسرح فى رأيى عنصره الأصيل وهو التأثير المباشر ! أليس كذلك ، أم أنا مغال فيما أقول ؟

إننى فى انتظار رأيك ، وتقبل إعجابى واحترامى

«القاهرة» محمد رفعت الدروبانى

كلام الأديب المصرى الفاضل صحيح لا غبار عليه ، ولقد شهدت هذه المسرحية وغيرها من المسرحيات ورأيت بعينى هذا الذى يقع على خشبة المسرح ويقدم عليه الممثلون . . إنها « تقليعة » لا أستطيع أن أرضى عنها ولو رضى عنها ذلك الرجل الذى أقدره دون أن أعرفه ، وأعنى به الأستاذ زكى طليمات !

لقد كان الجمهور مثلا فى حالة شعورية ساخطة على ذلك الممثل الذى قام بدور المستشار الإنجليزى المحقق فى قضية دنشواى ، ولكن تلك الحالة الشعورية قد انقلبت إلى النقيض حين رفعت الستارة بعد انتهاء المشهد ليتلقى المستشار « الإنجليزى » تحية لجمهور النظارة من « المصريين » . . ولقد كان الجمهور مثلا فى حالة شعورية حزينة على « أم محمد » التى خرت صريعة برصاص الجنود الإنجليز ، ولكن تلك الحالة الشعورية قد انقلبت هى الأخرى إلى النقيض حين رفعت الستارة بعد انتهاء المشهد وظهرت « الشهيدة » فى أحسن صحة وأكمل عافية ، لتحيى « الباكين » عليها « والمحزونين » . . ولقد كان الجمهور مثلا فى حالة شعورية تتدفق إعجابا وحماسة وهو يرى « عبد الرازق » وقد نسف البيت مضحيا بحياته ، مادام هذا النسف سيودى بحياة عدد من جنود الاحتلال ، ولكن تلك الحالة الشعورية قد